

الباب الثالث

في تأويل ظواهر الإنجيل

obekandi.com

/ اعلم رحمك الله أنه إنما دخل الخلل على النصارى وغيرهم ممن بضاعته ١/٧٧ ب
من المعقول مزجاة، ومن جهلهم بمقتضيات الألفاظ وعدم المعرفة بوجوه
الكلام ولقصور أفهامهم هابوا تأويل الظواهر فلم يحملوها على بعض محتملاتها
بالدليل، وليس ذلك صوابا، بل ينبغي حراسة ما دلَّ عليه دليل العقل الذي
لا احتمال فيه، فإذا ورد لفظ عرض ظاهره على ما ضبطه دليل العقل، فإن لم
يَنْبُ عنه استعمال الظاهر من اللفظ ولم يتأول، وإن نبا عنه طُلب له [وجه] (١)
يحمل عليه ما يحتمله ليجمع بين اللفظ وبين مقتضى العقل (٢)، إذ الشرع لا

(١) في ص (وجها) والصواب ما أثبتته .

(٢) كان الأولى بالمؤلف في رده على النصارى في هذا الباب أن يستفتحه ببيان حقيقة الأناجيل
والألفاظها: فإن أناجيل النصارى ليست قطعة الثبوت والدلالة، بل هي ظنية إن لم تكن منتفية عنها
وذلك بنص القرآن الكريم في إخباره بتحريف أهل الكتاب لما أنزل عليهم، ولما ثبت من وجود
التناقض والاختلاف في الأناجيل وعدم السند المتصل المتواتر لكتبهم، واعتراف بعض أحبارهم بكل
ذلك كما سنينيه في الباب الرابع إن شاء الله تعالى .

وعلى فرض التسليم الجدلي لهم بصحة أناجيلهم وفيها تلك الألفاظ التي زل فيها النصارى وهي -
الأب والرب والإله والأبن - فإننا نجد لها تأويلا (أي تفسيرا) لمعانيها الصحيحة من نصوص كتبهم
المقدسة لديهم - حيث إن الكتاب الواحد يفسر بعضه بعضا - وما يمكن أن تحمل عليه من المعاني
الصحيحة بحسب سياق الكلام وبما يناسب إطلاقها عليه . فإن ألفاظ (الإله والرب) إذا أطلقت
على الله فإنها تحمل على حقيقتها وما يستلزمه مقام الربوبية والألوهية من التعظيم والتزينة والتفرد .
وإذا ما أضيفت إلى المخلوقين وأطلقت عليهم فإنه يراد بها التكريم والتفخيم والتدبير والرعاية
والتعليم بحسب ما يناسب مقام العبودية والبشرية .

وكذلك لفظة (الأبن) إذا ما أضيفت إلى الله عز وجل فإنها لا تعني بنوة الولادة أو الانفصال عن الله
عز وجل - كما توهمه النصارى - حيث لم ينفرد المسيح بإطلاقها عليه، بل شاركه فيها غيره من
الأنبياء والصالحين في التوراة والإنجيل - ممن لم يدع أحد فيه الألوهية فإنها تعني حينئذ بنوة الطاعة
والمحبة .

أما قول المؤلف (فإذا ورد لفظ إلخ) فهو نفس القانون الكلي في التعارض بين الأدلة النقلية
والعقلية الذي توهمه الرازي في كتابه أساس التقديس ص ١٧٢ وقد سبقه إليه طائفة من أئمة
الأشعرية منهم أبو حامد الغزالي وابن العربي والجويني والباقلاني . (ر: المواقف للأبيجي ص ٣٩،
وأصول الدين للبغدادي ص ١٢) .

وقد أبطل الإمام ابن تيمية قانونهم الكلي في كتابة (درء تعارض العقل والنقل) حيث قال: ومثل هذا
القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانونا فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فيجعلون
الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعا
له، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه .

يرد بخلاف ما يقتضيه العقل .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الألفاظ التي زلوا فيها وقدروها نصوصا وليست

وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء أو ما بلغهم عنهم، وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين، فمن يحتج بالسمعيات فإن غلظه إما في الإسناد وإما في المتن .

وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على مارأوه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسول من هؤلاء . ثم ذكر الإمام ابن تيمية جوابين في الرد على قانونهم : جواب إجمالي وتفصيلي :

أما الإجمالي فيقول : والكلام على هذه الجملة بني على بيان ما في مقدمتها من التلبس فإنها مبنية على مقدمات - أولها - ثبوت تعارضهما - والثانية - انحصار التقسيم فيما ذكره من الأقسام الأربعة - والثالثة - بطلان الأقسام الثلاثة .

والمقدمات الثلاثة باطلة، وبيان ذلك بأصل وهو: أن يقال: إذا قيل: تعارض دليلان - سواء كانا سمعيين أو عقليين، أو أحدهما سمعيا والآخر عقليا - فالواجب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنيين، وأما أن يكون أحدهما قطعيا والآخر ظنيا . فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما، وهذا متفق عليه بين العقلاء؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالاته باطلة .

وحيثند فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر، للزم الجمع بين النقيضين وهو محال . وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعيا دون الآخر، فإنه يجب تقديمه باتفاق العقلاء، سواء كان هو السمعي أو العقلي فإن الظن لا يرفع اليقين .

وأما إن كان جميعا ظنيين فإنه يصار إلى طلب ترجيح أحدهما، فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعيا أو عقليا .

فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي، ومثل هذا الغلط - أي القانون السابق - يقع فيه كثير من الناس، يقدرون تقديرا يلزم منه لوازم فيثبتون تلك اللوازم ولا يهتدون لكون ذلك التقدير ممتنعا، والتقدير الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كما في قوله تعالى: ﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا﴾ الأنبياء / ٢٢ . اهـ .

(ر: دره تعارض العقل والنقل ١/ ٤ - ٧ ، ٧٨ - ٨١ بتصرف يسير) .

وأما الجواب التفصيلي فقد شغل معظم أجزاء الكتاب الذي يقع في عشرة أجزاء بتحقيق د . محمد رشاد سالم .

مما سبق يتبين لنا فساد ما ذكره المؤلف - عفا الله عنه وعنا - في مقدمة الباب الثالث فإن الباطل لا يرد بباطل مثله . كما أنه يستلزم أن يتسلط النصارى على المسلمين بهذا القانون الكلي الفاسد فيطالبون بتأويل ما ورد في القرآن والسنة من الألفاظ الشرعية كالصلاة والزكاة ونحوه بحملها على ظواهرها اللغوية ونفي معانيها الشرعية، وغير ذلك من الأمور التي تلزم قانونهم الفاسد .

بنصوص أربعة: الابن، والأب، والإله، والرب.

وإذا نحن أتينا عليها بالتأويل^(١) وبيننا ما يحتمله بالدليل من التوراة والإنجيل لم يبق إلى إجرائها على الظاهر من سبيل، بعد أن / نقدّر صحتها مثلا ونسلم ورودها جدلا، ولو نسبناهم فيها إلى التحريف والتصحيف لأغريناهم بطغيانهم وحسنا عنهم مادة إيمانهم، بل نسلطفهم ونتكلم بمقتضى اصطلاحهم ومنقولهم فعسى أن يكون ذلك أقرب لمعقولهم، فأما الخوض بهم في أدلة العقول فشيء لا تحمله قواهم ولا يلائم هواهم.

فنقول وبالله التوفيق: أما لفظتا الابن والأب: فلغتهم تسمي الولي (ابناً) وتسمي الربى (أباً)^(٢) ويعبرون عن ذلك بأبوّة النعمة وبُبوّة الخدمة وذلك

(١) التأويل في اللغة: يطلق على معنيين (١) الرجوع والعاقبة والمصير. (٢) التفسير والبيان. (ر):

الصحاح للجوهري ٤ / ١٦٢٧، القاموس المحيط ص ١٢٤٤.

(٢) ورد في قاموس الكتاب ص ١٧ أن كلمة (الأب) وردت في الكتاب المقدس بمعان كثيرة منها:

١- السلف المباشر للإنسان أي والده.

٢- الجد أو الأسلاف على وجه عام.

٣- أطلق هذا اللفظ رمزياً على:

أ- الأب الروحي الذي ينفث من روحه في غيره سواء كان تأثيره طيباً أو على النقيض من ذلك،

فقد دُعي إبراهيم (أبو المؤمنين)، كما دعي إبليس أبو الأشرار.

ب- الدلالة على التشابه والتقارب والتماثل (وقلت للقبر أنت أبي) سفر أيوب ١٧ / ١٤.

ج- على مصدر الشيء مثل (أبو المجد) أفسس ١ / ١٧.

د- على الخالق.

هـ- وعلى مبتدع فن ما أو عمل ما، أو مبتكر أسلوب خاص للحياة (أب ساكني الخيام)

تكوين ٤ / ٢٠.

و- على الشخص الذي تظهر فيه خاصيات الأبوة (أبو اليتامي) مزمو ٦٨ / ٥.

ز- على من يقوم بعمل المرشد والمشير والمهتم بأمر من الأمور (وهو قد جعلني أباً لفرعون)

تكوين ٤٥ / ٨.

ح- على رئيس محترم مكرم، ويطلق بخصوصية على الأنبياء والمتقدمين في السن والمقام وعلى

المسيحين الأولين.

٤- يعتبر الله في الديانة المسيحية أباً، وأبوّة الله تسير في اتجاهين:

الأول - أبوته للبشر بالخلق.

والثاني - أبوته للمؤمنين بالنعمة. اهـ. ملخصاً.

==

قال المؤلف عفا الله عنه : قَلَّ ما رأيت لفظة الابن في كتبهم إلا مقرونة بالعبودية والتعبد كقول التوراة (إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني)(١) .

وكقول المزامير (أنت ابني سلني أعطيك)(٢) وكقول المسيح (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)(٣) وكقوله (إذا صليتم فقولوا: أبانا الذي في السموات قدوس اسمك افعل بنا كذا وكذا)(٤) من باب السؤال والدعاء، فإذا كان إسرائيل ابن الله وبكره، فأىُّ مزية للمسيح عليه وعلى غيره في هذه البنوة؟!

وأستشهد هنا بقول الأستاذ شارل جنير في كتابه (المسيحية) ص ٣٩، ١٠٦ في بيان حقيقة إطلاق (ابن الله) على المسيح، فيقول جنير: والدراسات الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين .

كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما .

ثم يقول جنير: يمكن لليهودي أن يعتبر نفسه (عبداً ليهوه لا ابناً ليهوه)، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه (عبد الله) وتقدم للناس بهذه الصفة .

والكلمة العربية (عبد) كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادماً) و (طفلاً) على حد سواء، وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، فإن كلمة TX S (اليونانية) تعني في نفس الوقت (خادم) و(طفل)، تماماً كالكلمة اللاتينية puer، وعلى هذا يكون التطور في اللغة اليونانية من TX S أي (طفل) إلى uigs أي (ابن) أمراً في غاية البساطة .

ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكري اليوناني . اهـ .

(١) خروج ٢٢/٤ .

(٢) مزمو ٧/٢ ، ٨ .

(٣) يوحنا ١٧/٢٠ .

(٤) متى ٩/٦ - ١٣ .

وقال أيضاً في التوراة في قصة الطوفان (إنه لما نظر بنو الله إلى بنات الناس [حسانا] (١) جدا شغفوا بهن فنكحوا منهن ما أحبوا واختاروا فولدوا جبابرة ١/٧٩/أ مذكورين / فأفسدوا فقال الله : لا تحل عنايتي على هؤلاء القوم) (٢) .

قال المؤلف : أراد بأبناء الله أولاد القليل من ابني آدم وهو هايبيل ، وأراد بنات الناس بنات القاتل وهو قابيل ، وكُنَّ [حسانا] (٣) جدا فصرروا قلوبهن عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام ، وقد سمى الله أولاد الصلحاء من عباده أبناء له إذ كانوا أولياءه وأبناء وليه وصفيه الشهيد ، فدَلَّ على ما قلناه من تسمية الولي في شرع أهل الكتاب ابنا والمربي له أبا ومنعما ، وذلك لا خفاء به عندهم ، والدليل على ذلك من المزامير قول الله (يا داود أنت ابني حبيبي) (٤) وذلك يقضي بمساواته المسيح إذ يقول له : (هذا ابني الحبيب) (٥) فما نرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بـداود وإسرائيل وأولاده الصلحاء من أولاد هايبيل الذي قتله قابيل .

وقال في المزامير لداود أو لغيره : (أنت ابني وأنا اليوم ولدتك ، سلني أعطيك) (٦) وفي المزامير (ولدتك من البطن قبل الفجر) (٧) .

وقال نبي الله أشعيا في نبوته حاكيا عن الله : (توصوا بني في أبنائي ١/٧٩/ب وبناتي) (٨) يريد ذكور عباده / الصالحين وإناتهم .

(١) (٣) في ص (حسان) والصواب ما أثبتته .

(٢) تكوين ١/٦-٤ ، وفي ش : في التوراة لما نظر بنوا اللهم ، اللام مفخمة وهو عبارة عن اسم الله تعالى .

(٣) مزمور ٧/٢ .

(٤) متى ١٧/٣ ، مرقس ٧/٩ .

(٥) مزمور ٧/٢ .

(٦) مزمور ٩/٢٢ ، ٣/١١٠ .

(٧) سفر أشعيا ٤٣/٦ .

(٨) سفر أشعيا ٢/١ .

وقال الله في نبوة أشعيا : (إني ربيت أولادا حتى كبروا ونشأوا)^(١)، فما نرى المسيح إلا نسج له على منوال من تقدمه من صلحاء عباد الله فإن لم يصح هذا النقل فلا بنوة، وإن كان صحيحا فلا مزية .

والدليل على أن البنوة بمعنى التربية والإنعام قول المسيح في الإنجيل (أبي رباني)^(٢) فقرن الأبوة بالتربية .

وقال المسيح : (أنا الكرم وأبي الفلاح فكما أن الفلاح يسقي الكرم ويدفع عنه الأذى ويُنمِّيه فكذلك يفعل الأب)^(٣) .

قال المؤلف : وإذا كان هذا نقلهم عن الله تعالى أن الله تعالى سمى الصالحين من عباده والمتقين من خلقه أبناء، فلا معنى لإطنائهم في بنوة المسيح وتخصيص التأويل بدادود وإسرائيل وغيره ما إليه من سبيل .

قلت : وهذه الولادة الروحانية هي الأبوة المعتبرة المستفادة من تربية المشائخ والعلماء بالله الدالين عليه المحبين عباده وبها يصير الإنسان إنسانا، وذلك أن الوالد الجسماني يضع المولود ساذجا عن المعرفة، خاليا عن العلم، عاطلا من الأدب، متوفر البهيمية/، نزر الإنسانية، ليس له كبير فضل على الحيوان ١/٨٠/ب البهيم، فإذا ولد الولادة الروحانية نقل إلى طور الإنسان، وحُوِّل عن بهيم الحيوان، فتروى بالعلم، وتحلَّى بالحكم، وتَشَنَّف بالأدب، وتشرف بالزهد، وترُوحن بالمعرفة، فترقى عن الإنسانية وناسب الملائكة، فحيثئذ تمت له الولادة الروحانية وتلاشت في جنبها الولادة الترابية الجسمانية .

(١) يوحنا ١٤ / ٣١ .

(٢) يوحنا ١٥ / ١-٩ .

والدليل على اعتبار هذه الولادة قول المسيح : (لن يدخل ملكوت السماوات من لم يولد من ذي قبل ، قيل له : كيف يولد شيخ ، قال : الحق أقول لكم إن المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح روح هو)^(١).

يريد عليه السلام روح الحكمة التي قالت التوراة : (أنها ملأت بصلليل من سبط يهوذا)^(٢). (وقال رجل من أصحاب المسيح له : يا سيد مرني أن أذهب فأدفن أبي ، فقال : دع الموتى يدفنون موتاهم)^(٣) أمره بملازمة الأب الروحاني الذي يكون سبب الحياة الدائمة .

ولما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد^(٤) على مكة قال : يا عتاب /٨٠/١ ب أتدري على من استعملتك؟ / استعملتك على أهل الله ، قالها مرات^(٥) وقال عليه السلام : «أهل القرآن هم أهل الله»^(٦).

(١) يوحنا ٣/٣ - ٦ .

(٢) سفر الخروج ٣١/٣ - ١ .

(٣) متى ٨/٢١ - ٢٢ ، لوقا ٩/٥٩ ، ٦٠ .

(٤) عتاب بن أسيد ابن أبي العيص ، أسلم يوم الفتح ، وكان عامل الرسول ﷺ على مكة ، ومات في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . (ر: ترجمته في ابن سعد ٥/٤٤٦ ، والإصابة ٤/٢١١) .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٧/٢٤٥ قال : ثنا القاسم بن علي الجوهري ثنا يحيى بن عثمان ثنا يحيى بن بكير ثني يحيى بن صالح الأيلي عن إسماعيل بن أمية عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : يا عتاب بن أسيد إني قد بعثتك إلى أهل الله وأهل مكة . . . الحديث

وفي إسناده يحيى بن صالح الأييل ، قال العقيلي عنه : روى مناكير وكذا قال ابن عدي (ر: لسان الميزان ٦/٢٦٢) . وأما نص المؤلف فقد ذكره ابن سعد في الطبقات ٥/٤٤٦ من غير إسناد .

(٦) أخرجه ابن ماجه (ر: صحيح ابن ماجه ١/٤٢) ، والإمام أحمد ٣/١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٤٢ ، والحاكم ١/٥٥٦ وغيرهم من طرق كلهم عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره . قال الحاكم : قد روى هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثلها ، ووافقه الذهبي .

وقيل لأبي بكر الصديق : ماذا تقول لربك وقد استعملت علينا عمر؟ فقال :
أقول استعملت على أهلك خير أهلك (١) .

وذلك كله للتشريف وإلا فلا مناسبة بين القديم والحادث والخالق والمخلوق
وبعد ، فقد كانت هذه الولادة أعني ولادة التربية مشهورة في الزمن الأول والدهر
المتقدم ، فكأن التبني بالغير مسوغ فانظر إلى المعنى الذي أشرنا إليه ، ولم يزل
ذلك كذلك إلى قبيل الإسلام ولما قال عليه السلام : «إن زيدا (٢) ابني يرثني
وأرثه ، رضي بذلك والد زيد وعمومته وانصرفوا» (٣) فلما جاء الله بالإسلام والنبوة
منع من ذلك رفعا لالتباس بالتسمية وأحكام الأبوة الدنيوية فقال جل من
قائل ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ (٤) .

فان أراد النصارى بالأبوة والبنوة المذهب الروحاني من التربية والتعليم
والتهذيب والتقويم ، لم نشأحهم في الألفاظ بعد فهم المعاني ، لكننا نقول
لهم : لا اختصاص للمسيح عليه السلام بهذه البنوة ، وتلو عليهم ما تقدم مما
نقلناه من التوراة والنبوات والإنجيل .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/ ١٩٩ ، ٢٧٤ بإسناده .

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، حب رسول الله ﷺ ، الصحابي المعروف رضي الله عنه .

(٣) إن موضع استشهاد المؤلف بأن زيدا عرف بابن محمد ﷺ لتربيته وتبنيه له قد أخرجه البخاري في
كتاب التفسير (ر: فتح ٨/ ٥١٧) ومسلم ٤/ ١٨٨٤ ، والترمذي ٥/ ٦٣٤ عن ابن عمر رضي الله
عنهما (أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن
﴿ادعوهم لأبائهم﴾ هو أقسط عند الله .

وأما لفظ ما أورده المؤلف فقد أخرجه ابن سعد ٣/ ٤٢ وابن حجر في الإصابة ٣/ ٢٥ من طريق
هشام بن السائب الكلبي عن أبيه وعن حميد بن مرثد الطائي وغيرهما في سياق طويل ، إلا أن في
إسناده محمد بن السالبي وهو متهم بالكذب ، ورمي بالرفض ، من السادسة . (ر: التقريب
١٦٣/٢) .

(٤) سورة الأحزاب/ ٥ .

/ الدليل على مساواة المسيح غيره في هذه البنوة وأنه لم يخص بها نفسه :

وذلك في الإنجيل كثير جدا قال المسيح في خاتمة الإنجيل : (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) فقد سوى بين نفسه وبين تلاميذه في هذا المعنى ويوضحه قوله (والهي والهكم) ، فإن رام النصارى تفرقة بين المسيح وبين غيره قلبنا عليهم الكلام وعكسنا المرام حتى يضطرهم الحجاج إلى جعل البنوة في حق المسيح وغيره بمعنى واحد .

قال المؤلف : لقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدّعي بناانا في البيان ، فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة ، فألزمته قول التوراة (ابني بكري) وقلت له : لعل البكر يكون أحظى عند والده ، وأولى بطريف (١) برّه وتالده (٢) ، فما تقول في بنوة إسرائيل ؟ فقال : إسرائيل وغيره ابن النعمة والمسيح ابن على الحقيقة ، فعكست عليه كلامه فتبلد واختزى ولجأ إلى ضعف العبارة واعتزى (٣) .

وقد سوى المسيح بين نفسه وبين سائر المطيعين من عباد الله في هذه البنوة وقد أخبر يوحنا الإنجيلي في الفصل الثاني من الرسالة (٤) الأولى أن إطلاق لفظ البنوة إنما هي / مجرد تسمية امتن الله بها عليهم تشريفا لهم فقال (انظروا إلى محبة الأب لنا أنه أعطانا أن ندعا له أبناء) (٥) ثم قال في الفصل الثالث منها : (أيها الأحباء الآن صرنا أبناء الله وقد تبئن بنا فينبغي لنا أن ننزله من الإجلال

(١) (الطارف والطريرف) من المال المستحدث وهو ضد التالد والتليد والاسم (الطرفه) (ر: مختار الصحاح ص ٣٩٠) .

(٢) التالد : المال القديم الأصلي الذي ولد عندك وهو ضد الطارف (ر: مختار الصحاح ص ٧٨) .

(٣) أي نسب إلى ضعف العبارة والخزي والتبلد ، وأصله عزا ، عزاه ، فاعتزى . (المرجع السابق ، ص ٤٣١) .

(٤) رسالة يوحنا الأولى من ضمن أسفار العهد الجديد .

(٥) رسالة يوحنا الأولى ١/٣ .

على ما هو عليه، فمن صح له هذا الرجاء فليترك نفسه بترك الخطيئة والإثم واعلموا أن من لابس الخطيئة فإنه لم يعرفه) (١).

قال متى: (قال المسيح: أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم، لكيما تكونوا بني أبيكم المشرق شمسه على الأخيار والأشرار، والممطر على الصديقين والظالمين) (٢).

وقال المسيح لتلاميذه: (كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل، لا تصنعوا معروفكم قدام الناس لكي ترائونهم فيحبط أجركم عند أبيكم الذي في السماوات، لتكن صدقتك في السر وأبوك يرى السر فيجزيك علانية، إذا صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل لأبيك سرا وأبوك يرى السر فيجزيك علانية، وإذا صليتم فلا تشبهوا بالوثنيين لأنهم يظنون أن/ يسمع ١/٨٢/١ منهم بكثرة كلامهم، فأبوكم عالم بحوائجكم قبل أن تسألوه) (٣).

فهذا المسيح قد سوى بين نفسه وبين سائر المطيعين لله في البنوة، وبين أن لفظة «الابن» قد تطلق على العبد الصالح بدليل قوله لليهود (أنتم لو كان الله أباكم كنتم [تحبوني] (٤)، أنتم من أبيكم إبليس وشهوة إبليس تهوون) (٥).

(١) رسالة يوحنا الأولى ٣/٢ - ٦ وقد ورد النص كالاتي (أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون؟ ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه، كما هو وكل من عنده هذا الرجاء به يظهر نفسه كما هو طاهر، كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدي أيضا والخطيئة هي التعدي وتعلمون أن ذاك أظهر، يرفع خطايانا وليس فيه خطيئة، كل من يثبت فيه لا يخطئ، كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه).

(٢) لوقا ٦/٢٧-٣٥ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا.

(٣) متى ٥/٤٨، ٦/١-٨.

(٤) في ص (تجبوني) والصواب ما أثبتته.

(٥) يوحنا ٨/٤٢-٤٤ بالفاظ متقاربة.

وقد قال فولس في الرسالة الخامسة: (إياكم والسفه والسب واللعن واللعب، فإن الزاني والنجس والغاشم كعابد الوثن لا نصيب له في ملكوت الله، احذروا هذه الشرور فمن أجلها يأتي رجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه، فإياكم أن تكونوا شركاءهم فقد كنتم من قبل في ظلمة فاسعوا لأن نسعى [كأبناء] (١) النور) (٢) انظر كيف سمى فولس حكيم النصارى [من] (٣) يعمل بالمعاصي ابنا، كما سمى المتقين من عباد الله ابنا، فقد استبان لك مرادهم بالبنوة التي يطلقونها.

نوع آخر: قال المسيح: (سمعتم ما قيل العين بالعين والسن بالسن وأنا أقول لا تقاوموا الشر بالشر ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك / ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه، سمعتم ما قيل أحب قريبك وأبغض عدوك وأنا أقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويخزيكم، لكيما تكونوا بني أبيكم كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل (٤)، وإذا صنعت رحمة فلا تصوت قدامك بالبوق كالمرائين في المجامع والأسواق لكي يُحمدوا من الناس، الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم، وإذا صنعت رحمة فلا تعلم شمالك ما صنعت يمينك لتكون صدقتك في السرّ وأبوك يجزيك علانية، وإذا صليت فلا تكونوا كالمرائين الذين يصلون ليظهر للناس صلاتهم، الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم (٥)، وإذا

ب/٨٢/١

(١) في ص (أبناء) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس ٥/٣ - ٨.

(٣) إضافة يقتضيه السياق.

(٤) متى ٥/٣٨ - ٤٨.

(٥) متى ٦/١ - ٥.

صمتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يعبسون وجوههم ويغيرونها ليظهر للناس صيامهم ، الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم ، وأنت إذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك كيلا يظهر للناس صيامك ، اغفروا للناس خطاياهم ليغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم ، لا تكنزوا لكم كنوزا في الأرض [حيث] (١) الأكلة والسوس / والسارق ولكن اكنزوا لكم كنوزا في السماء حتى ١/٨٣/أ لا تفسدها سوس ولا تناها أيدي السُّراق ، فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم) (٢) .

فهذه أقوال من المسيح شاهدة بأنه عليه السلام لم يخص نفسه بالبنوة دون أدناهم ، وأنه وإياهم فيها سيّان ، وأنها كلمة تطلق على عباد الله الصالحين ، وأنه حيث ما ذكرها قرنها بالعبودية والتشمير في الطاعة ، وأن من كان منحرفا عن التقى والديانة لم يصلح لهذه البنوة ، كما قال المسيح لليهود (أنتم من أبيكم إبليس) حيث لم يرضهم للبنوة المعزوة إلى الصالحين من بني إسرائيل .

إطلاق أتباع المسيح لفظ البنوة على أنفسهم غير مفرقين فيها بينهم وبين المسيح [و] (٣) أنهم لم يفهموا منها إلا ما أشرنا إليه :

قال يوحنا التلميذ في قصص الحوارين الذي يسمى فراكسيس : (يا أحبائي إنا أبناء الله سمانا بذلك ، واعلمو أن الفصل بين أبناء الله وأبناء الشيطان أن من لم يتبرر ويحب أخاه فليس من الله بل من الشيطان) (٤) .

(١) في ص : جنب ، والتصويب من النص .

(٢) متى ١٦/٦ - ٢١ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق . والله أعلم .

(٤) رسالة يوحنا الأولى ١/٣ - ١١ بألفاظ متقاربة ، ولم يرد النص في سفر أعمال الرسل كما ذكر المؤلف .

١/٨٣/ب فين الحواري أن بنوة الله عبارة عن طاعته وأن من لم يطع الله / فليس يصلح لهذه البنوة ولا تليق به ، وساوى بين نفسه وبين المسيح في هذه البنوة . فلم يبق بعدها للنصارى باقية ، ولم تقم لهم في تخصيص المسيح بالبنوة قائمة . وقد عبّر يوحنا الإنجيلي عن هذه البنوة بالطاعة والاستقامة ، وذكر أن من كان منحرفا عن خدمة الله لم يصلح لهذه البنوة فقال في الفصل الثالث من رسالته الأولى : (اعلموا أن كل من ولد من الله فلن يعمل خطيئة من أجل أن زرعه [ثابت] (١) فيه فلا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله وبهذا نتبين أبناء الله من أبناء الشيطان فكل من لا يعمل البر فليس هو من الله) (٢) .

فالمسيح عليه السلام ويعقوب وداود ومن مضى من أولياء الله وأنبيائه لما تحققوا بخدمة الله وسارعوا إليها أطلق اللسان العبراني عليهم هذه التسمية تشريفا لهم ولا مزية للمسيح على غيره في ذلك .

وقال فولس الذي يسمونه فولس الرسول وهو المفسر العالم الذي لهم في رسالته إلى ملك الروم (أن الروح تشهد لأرواحنا أنا أبناء الله وإذا كنا أبناءه فنحن ورثته / أيضا) وقال فولس في هذه الرسالة : (إن البرية كلها تترجى ظهور أبناء الله) (٣) .

قال المؤلف : إن كان هذا الكلام صحيحا ، فالمسلمون أحق بهذه التسمية فإنهم الذين ملأوا الأرض ونفعوا البرايا والأمم بما أرشدوهم إليه من طاعة الله ، وعلموهم من توحيدِهِ ، وشرعوا لهم من أحكامه ، وتحقق رجاء البرية بما أفادهم المسلمون من مصالح دينهم ودنياهم .

(١) في ص (ثابتا) والصواب ما أثبتته .

(٢) رسالة يوحنا الأولى ٣/٩ ، ١٠ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ٨/١٦ - ١٩ ، وقد وهم المؤلف في قول أنها رسالة بولس إلى ملك الروم .

وقال فولس في رسالته إلى بعض النواحي : (أولا تعلمون أنكم هياكل الله ، وأن روح الله حالة فيكم ، وأن الدنيا والآخرة لكم)(١) .

وقال فولس لإخوانه : (إن أجسامكم هيكل لروح القدس التي قبلتموها عن الله)(٢) ، وقال فولس في رسالته الثانية : (إن الله تعالى قال : إني أحل فيهم وأسعى معهم ، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون بمنزلة البنين والبنات)(٣) .

فهذا فولس - المؤتمن عند النصارى - لم يدَّع أن المسيح [مباين](٤) أحد من الملة في هذه البنوة ، وقول فولس (إنكم هياكل الله) الهيكل (٥) بيت متعبدهم كالمسجد ونحوه ، فشبّه بيت العبد الصالح في طهارتها وعمارتها بذكر الله بالهيكل والمسجد .

وقال متى في إنجيله / : (إن جباة الجزية جاءوا إلى بطرس فقالوا ما بال /٨٤/١ ب [معلمكم لا](٦) يؤدي الجزية؟ فقال لهم : نعم ، ثم أخبر المسيح بمقالتهم فقال : يا بطرس والبنون أيضا تؤدي الغرم ، اذهب إلى البحر فأول حوت يخرج فخذ وأدّ عني وعنك)(٧) .

فهذا متى يشهد على المسيح بأنه لا يختص بهذه البنوة وأن [البنين](٨) سواه كثير .

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢/٣ ، ١٦ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٩/٦ بألفاظ متقاربة .

(٣) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٦/٦ بألفاظ متقاربة .

(٤) في ص (مباينا) والصواب ما أثبتته .

(٥) الهيكل : كلمة سومرية معناها (البيت الكبير) وهو مكان عبادة الله ، ويقوم مقام الكنيسة اليوم ، وكان اليهود يطلقون اسم (الهيكل) على مكان واحد كبير في القدس ، وباقي أماكن العبادة كانت تسمى (مجامع) ومفردها مجمع . (ر : قاموس ص ١٠١٢) .

(٦) بياض في الأصل ، والتصويب من النص في ص ١٩٨ .

(٧) متى ١٧/٢٤ - ٢٧ .

(٨) في ص (البنون) والصواب ما أثبتته .

وهذه صورة [صلاة] (١) زعم النصارى أن المسيح علّمها تلاميذه: وهي (أبانا الذي في السماوات قدوس اسمك يأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء كذلك تكون على الأرض، آتنا خبزنا قوتا في اليوم، واغفر لنا ما وجب علينا كما نحب أن نغفر لمن أخطأ إلينا، ولا تدخلنا التجارب ولكن نجنا من الشرير، إذ لك المجد والقوة والملك إلى الأبد. آمين) (٢).

قال المؤلف: قوله (أبانا الذي في السماوات) لفظ موهوم من حيث الأبوة ومن حيث الجهة.

فالأبوة متروكة الظاهر بقول يوسف في التوراة: [لأخيه بنيامين - وهو لا يعرفه - يا بني الله يترأف] (٣) عليك.

١/٨٥/أ فقد سمي أخاه ابنه، وليس ابنا له على الحقيقة، وبقوله / في التوراة لإخوته: (لستم أنتم الذين بعثوني بل الله قدمني أمامكم، وجعلني أبا لفرعون وسيدا لأهل الأرض) (٤) يريد مدبرا له.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) متى ٩/٦ - ١٤، لوقا ١١/٢-٤ وهذه الصلاة يسميها النصارى (بالصلاة الربانية) وهي فاتحة صلاتهم وبعدها يقرؤون الصلوات (الأدعية) التي تناسب صلاتهم، وتنقسم هذه الصلاة إلى ثلاثة أقسام: (١) الدعاء (أبانا الذي . . .) (٢) الطلبات وهي ست، ثلاث منها تختص باسم الله وملكوته ومشيئته، وثلاث باحتياجات الإنسان الزمنية والروحية. (٣) التمجيد (لأن لك الملك . . .). (ر: قاموس ص ٥٥٢، الصلاة في الأديان الثلاثة ص ١٣٥، ١٥٨ أحمد أبو طبة).

(٣) في ص: (لاجيب سامن وهو لا يعرفه يا بني الله يترأف) والتصويب من النص في سفر التكوين ٢٩/٤٣.

(٤) تكوين ٤٥/٤-٨.

وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح: يا أبت^(١)، وليس [أباهم]^(٢) إلا على
جهة التدبير كما قال لهم: (لا تدعوا لكم مُدبِّراً على الأرض فإن مدبركم
المسيح)^(٣)

وكانوا أيضاً يدعون بطرس بعد المسيح (أبا) لهم كما شهدت به سير
التلاميذ، وذلك بمعنى المدبر، فليعلم اللبيب أن قول المسيح لربه (يا أبت) إن
صح ذلك عنه كقول بطرس للمسيح (يا أبت) وكقول التلاميذ لبطرس (يا
أبت). وعند الوقوف على هذه المواضع تنحل عقود النصارى في دعوى بنوة
المسيح وينقسم عراهم فلا يحاولون انفصالا إلا وينعكس عليهم في بنوة
المسيح.

ويقال لهم: هل أبوة يوسف لأخيه بنيامين ولملك مصر إلا كأبوة الله
للمسيح؟! وهل بنوة المسيح لله إلا كبنوة إسرائيل وداود وأولاد الشهيد من ابني
آدم كما حكوا عن التوراة والكتب القديمة؟! ولما كان الأب هو المشفق المرفق
العاطف بربه العابد بخيره، المحرك بإحسانه / المفضل بتطوله وامتنانه، ١/٨٥/أ
وكانت هذه المعاني لا تتحقق على الحقيقة إلا من الله جلت قدرته، وكان
المسيح قد توفرت روحانيته فلم ير الوسائط، حَسُنَ^(٤) عنده التجوز باسم
الأب عن الرب، وهذا محمل يتعين حمل هذه الألفاظ عليه إن صح إطلاقها

(١) لم أعر في الأناجيل على نص يشير إلى أن التلاميذ كانوا يقولون للمسيح: يا أبت ولكن ورد فيها أن
التلاميذ كانوا ينادون المسيح بالألقاب الآتية:

(المسيح ابن الله) ر: متى ١٦/١٦ .

(رب) ر: متى ٢٢/١٦، مرقس ٨/٣١، يوحنا ٢١/١٥ .

(سيد) ر: مرقس ٩/٤-٥، يوحنا ١٣/١٣٧ .

(معلم) ر: يوحنا ٣/٢ .

(٢) في ص (أبوهم) والصواب ما أثبتته .

(٣) متى ٢٣/٩ .

(٤) في ش: جواب لَمَّا .

منه، إذ القديم جل وعلا يتقدس عن أن يشار إليه بأبوة البعضية المتخذة من الزوجة والسرية تعالى القديم عن مماسة العديم، وتقدس العظيم عن ملابسة الهضم (١). ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾ (٢).

ولما كان الابن هو المهضوم الجناح، المفتقر في سعيه إلى النجاح، الخائف من دركات الهلكات بركوب الجناح، اللائذ بأبيه [لاستمطار] (٣) نواله، المتعلق بذبول كرمه في مضمون سؤاله، المرّمى ببه العظيم المعدي بمنه الجسيم، لم (٤) يقبح عنده التوسع باسم الابن عن العبد.

فإن تأول النصارى البنوة والأبوة بهذا التأويل وإلا فضحتهم التوراة والنبوات والإنجيل فقد حكوا عن التوراة قول الله (إسرائيل ابني بكري)، وفي المزامير يقول داود لأكابر بني إسرائيل: (أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو / العلا كلکم تدعون) (٥).

ولا خلاف أن الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته لم يخص المسيح بهذه البنوة، بل شارك فيها غيره من الصلحاء والأتقياء من عباد الله وأوليائه، ومن أنصف من النصارى عرف صحة ما قلناه فقد قال يوحنا في إنجيله: (إن يسوع كان مزمعا أن يجمع أبناء الله) (٦)، فهذا يوحنا التلميذ يذكر أن سائر بني إسرائيل يسمون بهذا الاسم ويذكر أن المسيح رام جمع الناس على كلمة الإيوان فلم يقدر على ذلك.

(١) هضم فلانا: ظلمه، وغصبه، كاهتضمه وتضمه، فهو هضم. (ر: القاموس ص ١٥١١).

(٢) سورة الشورى / ١١ .

(٣) في الأصل: (لا ستمطار)، وأظنه تحريف من الناسخ لكلمة (لاستمطار) وهو ما أثبتته لموافقته سياق الكلام . والله أعلم .

(٤) في ش: جواب لما .

(٥) مزمو ٦/٨٢ .

(٦) يوحنا ١١/٥٢ .

وإذا ثبت إطلاق لفظة البنوة على يعقوب وداود وغيره، فما بال النصارى لا يقولون في إيمانهم وحلفهم (وحق يعقوب ابن الله)؟!!

ولم حطوا حرمة وهو ابن الله بكره - والبكر له مزيد حرمة عند أبيه - ؟! وكذلك هلا أقسموا بداود وهو ابنه حبيبه، ولم هجروا اسمه وهو مساو المسيح في البنوة والحب؟!!

وكذلك قال لوقا الإنجيلي: (جبريل أخبر عن الله أن المسيح ابن داود)^(١) فهلا نسبوه نسبته التي نسبه بها جبريل ولهجوا بذلك في أقسامهم وأيمانهم فقالوا (وحق المسيح ابن داود).

وكيف رغبوا له / عن تسمية سماه الله بها على لسان جبريل قبل خلقه؟! ١/٨٦/ب أهم أعلم بما يجب له من الله؟! فكيف تركوا تسمية الله له وأخلفوا تسميةً أجمع أرباب الملل والنحل على تخطتتهم فيها؟!!

فإن رجعوا القهقري وتمسكوا بقوله: (يا أبت) أوردنا عليهم قولة التلاميذ (قولوا: أبانا الذي في السماوات) ونظائرها. على أننا نقول لهم: ألم ترووا لنا عن المسيح في خاتمة الإنجيل قوله: (أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم)^(٢) وقوله وهو على الصليب فيما زعمتم: (إلهي إلهي لم تركتني؟)^(٣).

فهلا تقولون في صلواتكم وأدعيتكم: يا عبد الله اغفر لنا، وكذلك إذا دعوتم الأب فقولوا: يا سيد إلهنا ارحمنا، وكذلك قولوا في دعائكم الأب: يا جدنا افعل بنا كذا؛ لأن بطرس^(٤) أبوكم، والمسيح أب لبطرس والله أب للمسيح.

(١) لوقا ١/٣٢ .

(٢) يوحنا ١٧/٢٠ .

(٣) متى ٢٧/٤٦ .

(٤) باعتبار أن بطرس رئيس الحواريين .

وقد زعمتم أن [المسيح] (١) صفعه اليهود في رأسه بالقصب [وضفروا] (٢) على رأسه إكليلا من الشوك وألبسوه ثيابا حمرا وسقوه الخل عندما عطش ، وأنتم في صلواتكم تبتهلون إليه بالأدعية ، فما بالكم لا تقولون : يا من صفعه اليهود في رأسه وبصقوا في وجهه / واقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة واستعار على خشبته ١/٨٧/أ وقرن باللصوص - افعل بنا كذا!

- الدلالة على استعمال المسيح المجاز والاستعارات :

فإن تلاميذه كانوا [معافين] (٣) مما ابتلي به المتأخرون من النصارى قال متى :
 بينا يسوع جالسا يتكلم على الناس إذ قيل له : أمك وأخوتك بالباب يطلبونك ، فقال : من أمي ومن أخوتي ، ثم أوماً بيده إلى تلاميذه وقال : هؤلاء هم أمي وإخوتي ، وكل من صنع مشيئة أبي الذي في السماوات فهو أخي وأختي وأمي (٤) .

قلت : هو ذا المسيح عليه السلام قد أعرب في التجوز والتوسع والاستعارة حتى سمى المطيع لله قريبا له من هذه الجهات فجعله أما له وأختاً وأخاً ، وإذا كان النصارى لا يجرون على ظاهر هذا اللفظ ، بل يحملونه على ما يليق به من التأويل فكذا يلزمهم في لفظ البنوة والأبوة ، فإنه كما يستحيل أن يكون آحاد الناس أما وأختا وأخا للمسيح فكذا يستحيل أن يكون المسيح - وهو رجل من بني إسرائيل يناله من النفع والضرر ما ينال غيره من البشر - ابنا لله / ١/٨٧/ب القديم الأزلي .

(١) إضافة يقتضيهما السياق . والظاهر أنها سقطت من الناسخ .

(٢) في ص (ظفروا) والصواب ما أثبتته .

(٣) في ص (معافون) والتصويب من المحقق .

(٤) متى ١٢/٤٦ - ٥٠ ، مرقس ٣/٣١ - ٣٥ ، لوقا ٨/١٩ - ٢١ .

فإن [هذى] (١) هاذ منهم وقال : فإذا لم يكن له بُدُّ من أب ، فمن أبوه؟! قلنا له : إذا لم يكن لأدم بُدُّ من أب ، فمن أبوه؟! فإذا قالوا : إن آدم خلقه الله آية وأعجوبة إذ خلقه من غير تناسل وتوالد ، قلنا : وكذلك المسيح خلقه الله تعالى آية وأعجوبة إذ خلقه من [غير أب] (٢) ، فكم قد خلق الله سبحانه من الحيوان من غير توالد وتناسل معروف ، وقد ابتداء الله العالم بأسره لاعن مثال سبق ، فأى آيات الله تنكرون (٣)؟!!

واعلم أن إطلاق المسيح لفظ (البنوة) جرى فيه على عادة من تقدمه من بني إسرائيل ، فإنهم كانوا يطلقون هذه البنوة والربوبية والألوهية على المعظمين في الدين والمدبرين للأمم كقول التوراة (إسرائيل ابني بكري) وكقول المزامير (داود ابني حبيبي) وقوله للأكابر من بني إسرائيل (أنا قلت : انكم آلهة وبني العلاكلكم تدعون) وقول شعيا (توصوا بي في بني وبناتي) وقول أشعيا (إني ربيت أولادا حتى نشأوا وكبروا).

فحال المسيح منسج على منوال من سبقه فقال : (أنا ذاهب / إلى أبي ١/٨٨/١ وأبيكم) غير أن هذه اللفظة لم تأت إلا ومعها لفظ العبودية ليزول الإيهاً ويحصل التشريف والإنعام ، والدليل على ما قلناه من بنوه شعيا النبي عليه السلام (إن الله تعالى تهدد بني إسرائيل على جرم فعلوه ، فلما خافوا نزول العقوبة قالوا في دعائهم : اللهم ترأف علينا ، وأقبل بوجهك إلينا ، ولا تصرف

(١) في ص : (هذا) والصواب ما أثبتته ، والهديان هو : الكلام غير المعقول لمرض أو غيره . (ر : القاموس ص ١٧٣٤).

(٢) في ص : (غراب) ، وفي ش : من تراب ، اقتباس من قوله تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ الآية لكن فيه ما فيه كأن العبارة من غراب أو من تراب . أ . هـ .

قلت : الصواب ما أثبتته ، فهو الموافق لسياق الكلام ، والتحريف حصل من الناسخ .

(٣) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون﴾ سورة غافر / ٨١ .

رحمتك عنا فأنت هو الرب أبونا، فأما إبراهيم وإسرائيل فلم نعرفه، لكن أنت أبونا وقد ملنا عن طرقتك، يا رب ارحمنا فنحن عبيدك(١).

وقد رووا عن يوحنا الإنجيلي (أن من لابس المعاصي وانغمس في الخطايا فليس له في هذه الولادة من نصيب)(٢).

فقالوا: قال يوحنا في خاتمة رسالته الأولى: (قد علمنا أن كل من هو مولود من الله لا يخطئ؛ لأن ولادته من الله وهو حافظه له من أن يقترب إليه الشرير)(٣).

فإن صدق النصارى في هذا النقل فليس فيهم إذاً من يستحق هذه التسمية لأنه لا يكاد أحد منهم يخلص من ملابسة المعاصي واقتراف الخطيئة والإثم. ب/٨٨/١
يصححوه فيخرجوا عن بنوة الله التي يدعون بها، فقد حكم يوحنا وغيره من أئمتهم أن مَنْ ولد من الله لم يرتكب على نفسه ذنباً ولم يحتقب وزراً. فهكذا كان اعتقاد من يطلق لفظ الأبوة على الله ويسمي نفسه (ابناً لله) إنما يجعل ذلك من باب التودد إلى الله والخدمة له، فلهذا لم يكن يضره إطلاقه، ولما جاء المتأخرون أكثر من هذا الإطلاق وصاروا يوردونه على جهة الفخر والتزكية وتمجيد النفس فخطبوا بالتكبر(٤)، وقيل لهم في الكتاب العزيز ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾(٥).

(١) سفر أشعيا ٦٣/١٠ - ١٧ بألفاظ متقاربة.

(٢) رسالة يوحنا الأولى ٣/٤ - ٩ بنحوه.

(٣) رسالة يوحنا الأولى ١٨/٥.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله مالك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾، سورة المائدة / ١٨.

(٥) قال الله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ سورة المؤمنون / ٩١.

- فأما [لفظتا] (١) الإله والرب :

فالرب هو المربي باللفظ والإحسان العائد بالعطف والامتنان، وهاتان اللفظتان قد تستعملان في حق العظيم من الأدميين تجوزاً وتوسعاً، لكن على جهة التقييد لا جهة الإطلاق، وقد قال أشعيا النبي: (عرف الثور من اقتناه والحمار مرتبط ربه ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل) (٢).

وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم / والمدبر والقيم يسمى ربا (٣)، كما أن ١/٨٩/١ الرجل رب منزله وداره وبيته ورب ماله «قال نبينا ﷺ لرجل: أرب إبل أنت أم رب غنم؟! فقال: من كل آتاني الله فأجزل» (٤).

(١) في ص (لفظتي) والصواب ما أثبتته.

(٢) ورد النص في سفر أشعيا ٣/١ كالاتي (الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف . . .). والفرق واضح بين النص الذي أورده المؤلف وبين النص المذكور حالياً في سفر أشعيا والظاهر أن عبارة (والحمار مرتبط ربه) كانت موجودة في نسخة المؤلف، ثم حرفت بعد ذلك في النسخ التي كتبت بعد زمن المؤلف. والله أعلم.

(٣) ذكر في قاموس الكتاب ص ٣٩٦ أن لفظه (رب) يقصد بها:

- ١- اسم الجلالة، وفي هذه الحالة تطلق على الأب والابن بدون تمييز سيما في رسائل بولس الرسول.
- ٢- وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والاكرام. أ. هـ.

ويحدثنا ستيفن نيل عن استعمالات كلمة (رب) في كتابه (من هو المسيح؟) ص ٤٩ فيقول: إن الكلمة اليونانية الأصلية التي معناها (رب) يمكن استعمالها كصيغة للتأديب في المخاطبة، فسجان فيلبي يخاطب بولس وسيلبا بكلمة (سيدي أو ربي: أعمال ١٦/٣٠) ولكن يمكن أن تستعمل بمعنى أرفع وأرقى، وكانت تستعمل وصفاً للإمبراطور في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، كما كانت تستعمل أيضاً للملك اليهود.

وكانت اللفظة لقباً من ألقاب الكرامة خلع على كثير من الآلهة الوثنية وخاصة آلهة أديان الأسرار، ولهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الرب) أطلق أولاً على يسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية، وكان من الهين على أولئك الأمم أن يقبلوا هذا اللقب الذي كان مألوفاً لديهم. أ. هـ.

ويعلق على ذلك الأستاذ محمد مجدي مرجان - الذي كان نصرانياً فأسلم - بقوله: والواقع أن لفظ (رب) يستعمل في كثير من المجتمعات، وخاصة في الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم، ويتكرر اللفظ كثيراً في أسفار التوراة بمعنى سيد أو معلم. (ر: المسيح إنسان أم إله - محمد مرجان، ص ١٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٥٩ مختصراً، والإمام أحمد ٤/١٣٦، ٥٣/٥، وعنه الطبراني في المعجم الكبير ١٩/٢٨٣، والحافظ أبي بكر الحميدي في مسنده (ح ٨٨٣) كلهم =

والدليل على ذلك من التوراة قول إبراهيم ولوط للملك : (يارب مل إلى منزل عبدك)^(١) ونحن والنصارى متفقون على عدم التعبد للملائكة وإنما أرادوا الإجلال في الخطاب ، وفي التوراة يقول الله لموسى : (قد جعلتك إلهاً لفرعون)^(٢) يريد مسلطاً عليه ومتحكماً فيه .

وفي التوراة (وقد شكى موسى لثغته في لسانه وعجمة في منطقته فقال الله له : (قد جعلتك ربا لهارون وجعلته لك نبيا ، أنا أمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بن إسرائيل)^(٣) .

ولم يقل الله للمسيح : قد جعلتك ربا وإلهاً ، بل إنما ذلك شيء تَقَوَّلَهُ النصارى ، فقول بطرس للمسيح (يارب) إن صح فهو مُنَزَّل منزلة ربوبية موسى لهارون من حيث إن المسيح أيضا مبلغ عن الله أو امره كتبليغ موسى أخاه هارون .

وقد قال داود في المزمور الثاني والثمانين : (قام الله في جماعة الألهة /)^(٤) ، وقال فيه وهو يعنف الأكابر من بني إسرائيل : (أنا قلت إنكم آلهة وبني العلاء

== من طريق سفيان بن عيينة قال : ثنا أبو الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الأحوص عن أبيه مالك بن نضلة الجشمي قال : أتيت النبي ﷺ فصعد في النظر وصوب وقال : أرب أبل أنت أرب غنم؟ قال : من كل قد أتاني فأكثروا طيب . . الخ» وقال الحافظ في الإصابة ٦ / ٣٥ : سنده صحيح .

(١) سفر التكوين ١٨ / ١-٣ كالآتي (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة . . . وقال : يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك) . وورد في نفس السفر ١٩ / ٢ أن لوطا عليه السلام قال للملكين : (يا سيديّ ميلا إلى بيت عبدكم . . .) .

(٢) سفر الخروج ١٧ / ١ .

(٣) سفر الخروج ٤ / ١٦ ، ٧ / ١ ، ٢ ، بالفاظ متقاربة .

(٤) مزمور ٨٢ / ١ .

تدعون^(١)، وفي المزامير أيضاً في حق يوسف (فخلاً الملك يوسف وصيّره سلطاناً على شعبه رباً على بنيه)^(٢) يريد القيم عليهم والمدير لأموهم .
وقد قال يوسف للساقى عندما فسر له رؤياه : « اذكرني عند ربك »^(٣) يريد مدبرك والقيم عليك .

وإذا عرفت ذلك سهل عليك ما يهتف به النصارى من تسمية المسيح رباً وإلهاً، وعرفت كيف تكسر حجتهم بتأويل هذه الألفاظ ، وقد قال شمعون الصفا رئيس الحواريين : (إن الله جعل أيسوع رباً)^(٤) يريد وَكَلَّ تدبير أصحابه إليه ، إذ الرب لا يقال إن غيره جعله وصيره رباً وإلهاً ، فما نرى شمعون الصفا زاد المسيح في ذلك على ما قالت التوراة : (إن الله جعل موسى رباً لهارون وإلهاً لفرعون) ولم يتجاوز به أيضاً قول المزامير (إن يوسف صار رباً للملك) وفي الإنجيل (إن الكلاب لتأكل من موائد أربابها)^(٥) .

(١) مزمور ٦/٨٢ .

(٢) مزمور ٢٠/١٠٥ ، ٢١ ونصه كالأتي (أرسل الملك فحله ، أرسل سلطان الشعب فأطلقه ، أقامه سيداً على بيته ومسلطاً على كل ملكه) .

(٣) قال تعالى : « وقال للذي ظن أنه ناج منها اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين » سورة يوسف / ٤٢ .

قال شيخ الإسلام : فإن قيل : لا ريب أن يوسف سمى السيد رباً في قوله « اذكرني عند ربك » و « ارجع إلى ربك » ونحو ذلك . وهذا كان جائزاً في شرعه ، كما جاز في شرعه أن يؤخذ السارق عبداً ، وإن كان هذا منسوخاً في شرع محمد ﷺ . اهـ . (ر: الفتاوى ١٥/١٨٨) .

(٤) سفر أعمال الرسل ٢/٣٦ .

(٥) متى ٢٧/١٥ ، مرقس ٢٨/٧ .

وقد روي عن سلمان^(١) الفارسي أنه قال: (تداولني بضعة عشر من رب إلى رب) (٢) وإنها / يريد المرشدين والمدبرين له .

وقد يكون الرب بمعنى السيد، قال الأعشى:

وَأَهْلَكُنْ يَوْمًا رَبًّا كِنْدَةَ وَابْنَهُ
وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَّعَرٍ (٣)

(١) سلمان أبو عبد الله الفارسي رضي الله عنه ويقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير الصحابي المعروف، له ستون حديثا .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (٥٣) (ر: فتح الباري: ٧/ ٢٧٧) وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٢٢١، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٩٥ عن سلمان الفارسي (أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب) واللفظ للبخاري .

قال الحافظ: أي من سيد إلى سيد، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيد، عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي). أخرجه البخاري ٥/ ١٧٧، ومسلم ٤/ ١٧٦٤ .

وقال الحافظ: وفيه نهي العبد أن يقول لسيدته: ربي، وكذلك نهي غيره فلا يقول له أحد: ربك، والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى؛ لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى. قال الخطابي: سبب المنع أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله وترك الاشتراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره إطلاق ذلك عليه عند الإضافة كقوله رب الدار ورب الثوب، وقال ابن بطال: لا يجوز أن يقال لأحد غير الله رب، كما لا يجوز أن يقال له إله. وقال الحافظ: ويحتمل أن يكون النهي للتنزيه وما ورد من ذلك فليبان الجواز - يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام في أشراف الساعة: (أن تلد الأمة ربه) - ، وقيل: هو مخصوص بغير النبي ﷺ ولا يرد ما في القرآن، أو المراد النهي عن الإكثار من ذلك واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة. اهـ.

(٣) البيت من شعر ليبيد بن ربيعة العامري وليس للأعشى كما ذكر المؤلف (ر: شرح ديوان ليبيد بن ربيعة ص ٥٥ تحقيق د. إحسان عباس، ط سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت - سنة ١٩٦٢ م، ر: لسان العرب ١/ ٣٩٩، تاج العروس ١/ ٢٦٠، وتفسير الطبري ١/ ٦٢، و ر: ترجمة ليبيد بن ربيعة ت سنة ٤١ في الأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٠).

ويكون أيضا الرب بمعنى المالك قال طرفة (١):

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد (٢)

ويكون أيضا الرب بمعنى المربي من قولهم رَبَّ يَرْبُّ فهو رَبٌّ (٣).

قال الشاعر:

يَرْبُّ الذي يأتي من الخير أنه متى فعل المعروف زاد وتمما (٤)

ويكون أيضا بمعنى المصلح للشيء ، قال الشاعر:

كانوا كسائِلَةٍ حَمَقَاءِ إذ حقت سلاءها في أديمٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ (٥)

ويقال للشمس إلهة ، قال الشاعر:

وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا (٦)

ويقال : ألهت إلى فلان ، إذا فزعت إليه واعتمدت عليه ، وقيل : هو من

ألهت فيه إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه ، فقول بطرس (يا رب) يريد يا مدبر أمرنا والقيم علينا .

(١) طرفة بن العبد البكري الوائلي ، أبو عمرو ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى . (ر: ترجمته في الأعلام ٢٢٥ / ٣).

(٢) ورد البيت في ديوان طرفة ص ٢٢ شرح وتقديم : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى سنة ١٤٠٧ هـ . ور: شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص ٨٧ ، تصحيح عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

(٣) رَبٌّ فلان ولده يَرْبُّه رَبًّا ، وربَّه ، وتربَّه ، بمعنى أي رَبَّاه (ر: الصحاح ١ / ١٣٠).

(٤) ورد البيت في لسان العرب ١ / ٣٨٦ ، وتاج العروس ٣ / ٢٦١ غير منسوب ، وقد أنشده ابن الأنباري كالآتي : يرب الذي يأتي من العرف أنه . . إذا سئل المعروف زاد وتمما .

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١ / ٦٢ ونسبه إلى قول : الفرزدق بن غالب ، وورد في لسان العرب ١ / ٣٩٠ كالآتي : (سلاها في أديم غير مربوب ، أي غير مصلح).

(٦) ذكره الجوهري في الصحاح ٦ / ٢٢٢٤ وقال أنشدني أبو علي :

تروحنًا من اللعباء قصرًا وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

وقول أشعيا (هوذا العذراء تحبل وتلد ولدا عمانويل الذي تفسيره إلهنا)^(١)
ب/٩٠/١ محمول على بعض هذه المحامل / إن صح نقلهم عن أشعيا هذا اللفظ بعينه .

وقد فسر علماء الإنجيل قول مريم المجدلانية للمسيح (ربوني)^(٢) بالمعلم،
والمعلم والمربي والمدبر بمعنى واحد^(٣) .

وقد صرح يوحنا الإنجيلي بأن الألوهية ليست على ظاهرها فقال في إنجيله :
(جلس يسوع في إسطوان سليمان بأورشليم فأحاطت به اليهود وتناولوا الحجارة
ليرجموه وقالوا : حتى متى تعذب نفوسنا؟ فقال : أريتكم أعمالا حسانا من عند
الله ، أفمن أجل الأعمال [ترجموني] ^(٤)؟! فقالوا : إنما نرجمك لأنك بينا أنت
إنسان إذ جعلت نفسك إلهاً ، فقال يسوع : أليس هكذا مكتوب في ناموسكم
(إني قلت إنكم آلهة وبنو العلاء تدعون)^(٥) فإذا قيل لأولئك (آلهة) لكون كلمة
الله عندهم ، فالذي قدسه الله وأرسله إلى العالم ، كيف تقولون إنه يجدف)^(٦) .

فقد اعترف يوحنا والمسيح بأن الألوهية متروكة الظاهر، وإن إطلاقها عليه
كإطلاقها على العلماء والحكماء والمدبرين من بني إسرائيل ، وقد صرح في هذا

(١) أشعيا ٧/١٤ .

(٢) يوحنا ١٦/٢٠ ، ١٧ والنص كالاتي : (قالت له : ربوني ، الذي تفسيره يا معلم)

(٣) علق محمد مجدي مرجان ص ١٧٤ على النص السابق وعلى ما ورد في إنجيل يوحنا ١/٣٨ ، ٣٨
بقوله : لم يشأ يوحنا أن يطلق كلمة (رب) على عيسى من غير تفسيره ، فقد خشي أن يتصور الناس
أن عيسى إله أو بعض إله ، ففسر يوحنا الكلمة في صلب الإنجيل نفسه بأنها تعني المعلم ، فعيسى
بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم وأستاذهم .

(٤) في ص (ترجموني) والصواب ما أثبتته .

(٥) نص مقتبس من مزمو ٦/٨٢ ونصه : (قلت : إنكم آلهة وبنو العلي كلكم) .

(٦) يوحنا ١٠/٢٢ - ٣٦ في سياق طويل وقد اختصر بعضه المؤلف وذكره بالمعنى .

الكلام بأنه ليس هو الله ، ولا الله حال / فيه ، وأن الله قدسه أي طهره وأرسله ١/٩١/١ إلى العالم ، وكذلك يفعل بسائر الأنبياء والرسل (١) .

ولو كان المسيح هو الله ، كقول الجهلة من النصارى للزم اتحاد المرسل والرسول والمقدس .

قال فولس في رسائله : (وقد يعرفون نعمة سيدنا يسوع المسيح إذ تمسكن من أجلكم وهو غني ، لكي تستغنوا بمسكنته) (٢) .

فشهد فولس بأن المسيح رجل من عباد الله يتواضع لله كدأب أوليائه وصفوته .

- وقد استشهد النصارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية :

قال متى : (حضر إلى يسوع امرأة كنعانية فقالت : إن ابنتي بها شيطان رديء فعسى تتعطف عليها ، فلم يجيبها فسأله التلاميذ أن يقضي حاجتها فقال : لم أرسل إلا للخراف الضالة من بيت إسرائيل . فجاءت المرأة وسجدت له وقالت له : يا رب أعني . فقال : ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيين فيعطى للكلاب فقالت : نعم يا رب والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد

(١) يقول محمد مجدي مرجان في كتابه السابق ص ١٧٢ : يطلق لفظ (إله) في الكتب المقدسة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز تعبيراً عن قربهم من الله كسائر أبناء الله الصالحين والبشر المؤمنين ، يقول عيسى موضحاً المجاز : (إننا بنوة الله بالأعمال) . ويقول لأتباعه عند صعوده إلى السماء وانقاذه من أعدائه : (إني أصعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم) . نعم فبنوة الله ليست باللحم والدم ، وليست بالتناسل والتوالد إنما بالعمل الصالح ، وكلما صدق الإيمان وثبت اليقين وحسنت النيات والأعمال كلما زاد اقتراب الإنسان من خالقه ، وصار قريباً من ربه وكأنه ابنه ، فنحن أبناء الله وصنع يديه . أ. هـ .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٩/٨ .

ب/٩١/١ أربابها، فحيثُ عطف/ عليها وقال [: يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدن]^(١)، فشفيت ابتتها من تلك الساعة)^(٢).

قال النصارى : سجدت له [المرأة]^(٣) وخاطبته بالربوبية ، وذلك دليل على ربوبيته إذ لم ينكر عليها ، بل تقريرها وشفاء ابتتها من أوضح الأدلة على ربوبيته . وسبيل من وقف على ذلك أن يعارض قول الكنعانية له (يا رب) بقولها (والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أربابها) فقد جعلت ملاك الكلاب [أربابا]^(٤) لهم ولم ينكر عليها أيضا .

وكذلك فليعارضوا بقوله (ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيين فيعطى للكلاب) فقد سمى الكفار من بني آدم كلابا ، وقد سمى الدعاء والشفاء خبزا ، وذلك كله دليل التجوز والتوسع ، وإذا كان ذلك كله جائزا على المعنى ، فالربوبية والبنوة أيضا جائزة على طريق المعنى ، فإن أحالوا أن يكون الآدمي كلبا فليحيلوا أن يكون ربا . وأما سجودها له ولم ينكر عليها فذلك كان سلام القوم وتحتيتهم في الزمن الأول على عظمائهم وأكابرهم / ، والدليل عليه أن التوراة تنطق (بأن أخوة يوسف حين عرفوه سجدوا له طالبين قدميه)^(٥) وكذلك قالت التوراة (أن إفرام ومنسى [ابني] يوسف سجدا لجدتهما يعقوب بحضرة أبيهم يوسف)^(٦)، فلن ينكر عليهم .

(١) في ص (يا امرأة عظيمة أمانيك يكون لك ما أردتي) والتصويب من النص .

(٢) متى ٢٢ / ١٥ - ٢٨ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

(٤) في ص (أربا) والتصويب من المحقق .

(٥) سفر التكوين ٦ / ٤٢ .

(٦) في ص : (ابنا) والتصويب من المحقق .

(٧) تكوين ٨ / ٤٨ - ٢١ .

وقد قالت التوراة: (إن إبراهيم ولوطا سجدا للملائكة على الأرض) (١) فلم ينهوا عن ذلك . (وقد ساوم إبراهيم قوما في أرض لهم ليدفن فيها سارة فلم يكلمهم ، ولم يساومهم حتى سجد لهم مرتين) (٢) على ما في التوراة ، فبطل تعلقهم بسجود المرأة للمسيح .

وقال المؤلف عفا الله عنه : قصة هذه الكنعانية التي استدلوها بها على الربوبية هي من أدل الدلالة على عدم الربوبية ، وبيانه : أنها جاءت إلى المسيح مؤمنة به ، سالكة طريقه في التواضع ، معتقدة أن معجزته لا تعجز عن شفاء ابتها . وهو فلم يَعْلَمَ بما انطوى عليه ضميرها من الإيمان به ، ألا تراه كيف جابهها بالرد؟! وقال : ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين فيعطى للكلاب ، فلما قالت له ما قالت ظهر له من إيمانها ما كان مستورا/ عنه وبدا له من معتقدها ١/٩٢/ب فيه ما لم يكن في حسابه ، فحينئذ قضى حاجتها وشفى ابتها .

- دليل من قوله على أن ما يفعله بقوة الله وحوله :

قال مرقس : (قال رجل ليسوع : يا معلم قد جئتك بابني وبه روح أبكم حيثما أدركه صرعه وسألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراجه ، فقال يسوع : آتوني به ، فلما رآه قال لأبيه : مُدْ كم أصابه هذا؟ فقال : منذ صباه فتاره يلقيه في الماء وتاره يطرحه في النار، فإن استطعت فأعنا وتحن علينا، فقال يسوع : كل شيء يستطيعه المؤمن ، فبكى أبو الصبي وقال : أنا مؤمن فأعن ضعف إيماني ، فانتهر يسوع الروح وقال : أيها الروح النجس الأبكم الأصم اخرج من الإنسان ، فخرج ، وصار الصبي كالصبي وأخذ يسوع بيده وأقامه فقال

(١) تكوين ١٨ / ١ ، ١/١٩٢ .

(٢) تكوين ٢٣/٢ - ١٢ .

التلاميذ: لم لم نقدر نحن على إخراجِه؟ فقال يسوع: إن هذا الجنس لا يستطيع إلا بصوم وصلاة، وخرج يسوع من هناك إلى الجليل مستترا(١).

ب/٩٣/١ قلت: إن قدح اليهود في هذه الآية، قيل لهم: ألم ترووا/ لنا (أن موت الفجأة وقع في بني إسرائيل بغتة فقتل منهم أربعة وعشرين ألفا وسبعمئة رجل، فأمر موسى هارون أن يضع في المجرمة بخورا وقام بين الأموات والأحياء فأمسك الموت الفاشي عن بعضهم)(٢).!؟

فما الدليل على صحة ما نقلتم من هذه الآية ولعلها زور وكذب ومين(٣) وإفك؟ فإذا قالوا: قد ثبت أن الناقلين لهذه الآية انتهوا في الكثرة إلى حد استحيل منهم التواطؤ على الكذب، قيل لهم: وكذلك آية المسيح نقلها من استحيل تواطؤهم على الباطل فاستوت الحال.

وإن زعم النصارى أن ذلك يصلح للدلالة على ربوبيته، قيل لهم: لا تتعرضوا للاستدلال بهذه القصة على ربوية المسيح البتة، فهي من إحدى الشواهد على عبوديته وبيانه من وجوه:

أحدها: قوله لأبي الصبي (منذ كم أصابه الجنى) فإن ذلك مشعرٌ بعدم علمه بالزمن الذي علقه الجنى فيه، إذ لو كان ربه وإلهه كما يزعم النصارى لكان هو الذي ابتلاه ولما علقه الجنى دون إذنه وعلمه، فعدم علمه بالوقت الذي لبسه فيه دليل / على عبوديته، إذ الغيب لا يعلمه إلا الله ب/٩٣/١

(١) مرقس ٩/١٧ - ٣٠.

(٢) سفر العدد ١٦/٤٢ - ٥٠ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا، وقد ورد في النص أن الذين قتل من بني إسرائيل أربعة عشر ألفا وسبعمئة، وليس كما ذكره المؤلف، والظاهر أنه تحريف من الناسخ.

(٣) المين: الكذب، وجمعه (ميون). (ر: مختار الصحاح، ص ٦٤١).

الواحد جل وعلا، وقد مضى نظائر ذلك إذ قد سئل عن يوم القيامة، (فقال: لا أعلمها ولا يعلمها إلا الله الواحد)^(١).

والثاني: قوله (كل شيء يستطيعه المؤمن) أراد إنما يصدر منه من شفاء المرضى وسائر الآيات إنما كانت لإيمانه بالله واهب القوي وما حي أثر الداء بالدواء.

والثالث: قوله للتلاميذ: (إن هذا الجنس لا استطاع إلا بصوم وصلاة) يدل على أن المسيح تقدم في الصوم والصلاة والعبادة إلى حد أربى فيه على غيره من عبيد الله. وفي بقية الفصل ما دل على خوف يسوع وتواريه وعجزه عن مقاومة مناوئيه، وهو أنه بعد قيام الفتى من صرخته خرج إلى الجليل فارا من ساعته، والكلمة الأزلية لا تعتورها نقائص البشرية.

كذب النصارى في دعوى بنوة المسيح:

قال مرقس: (خرج يسوع وتلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كبير فأبرأ أعلاهم فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون: أنت هو ابن الله، فكان ينهاهم ويتنهرهم)^(٢).

قلت: أعلم / أن هذا الكلام لو كان إيمانا من قائله لم ينهه المسيح، وكيف ١/٩٤/ب ينهى عنه، وإنما جاء لنشر الدين وبث الحق اليقين، والأمر بالكتمان ينافي الإعلان بالإيمان؟

فلو أن قول أهل زمانه (أنت ابن الله) توحيد لم ينههم عن التوحيد، لكنه إنما نهاهم لمخالفة نص الإنجيل إذ قال فيه لوقا: (إن المسيح هو ابن داود وأن

(١) مرقس ٣٢/١٢ .

(٢) مرقس ٣/٧ - ١٢ بألفاظ متقاربة .

الرب يجلسه على كرسي أبيه داود^(١) وذلك بشهادة جبريل عليه السلام . وإذا كان المسيح إنما هو ابن داود ، فكيف لا ينهاهم عن قول ما لا يحسن قوله؟! فإن قال النصارى : إنما نهاهم خوفا من اليهود أن يفتنوا به إذ كانوا يرومون قتله .

قلنا : ألم تزعموا أنه إنما تعنى ونزل إلى الأرض ليقتل إيثارا لكم وتخليصا من العذاب الذي ورطكم فيه آدم بتعاطي الخطيئة؟! أفترونه ندم على ذلك؟! فهو يستتر ويتوارى خوفا من القتل ، أفتصفونه بالبذاء والندم والجهل بعواقب الأمور؟! لقد كاد الله هذه العقول وحاد بها عن سواء السبيل .

١/٩٤/ب - نوع منه آخر: قال لوقا : (كان كل من له مريض يجيء به إلى يسوع / فيضع يده عليه فيبرأ فيقولون له : أنت ابن الله ، فكان ينتهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا)^(٢) انظر رحمك الله إلى انتهار المسيح من ينطق بلفظة البنوة ليعلم أن النصارى اليوم معرضون عن إنجيله سالكون غير سبيله .

فقد شهد لوقا بمثل ما شهد به مرقس ، فإن زعموا أنه إنما نهاهم خشية اليهود قيل لهم : لو كان ذلك كذلك لما أكثر من فعل الآيات وفي فعلها وإظهارها ما يوجب شهرته وظهوره ، فلما أكثر من المعجزات وأشاع فعلها دل على كذبكم في أنه نهاهم خشية أن يفتن به ، بل إنما نهاهم لنص الإنجيل وبيان جبريل ، حيث يقول : (إن يسوع هو ابن داود) ، فلذلك لم يرض منهم بهذا الإطلاق .

وقد قال متى في إنجيله : (هذا ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم)^(٣) فشهد - وهو الصادق عندهم - أن أبا المسيح هو داود ، وذلك رد على من زعم من النصارى أنه ابن الله - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

(١) لوقا ١/٣٢ .

(٢) لوقا ٤/٤٠ ، ٤١ .

(٣) متى ١/١ .

فإن قيل : ساعدتمونا على ترك العمل بظاهره إذ سلمتم أنه مولود / من غير ١/٩٥/أ
أب ، فكيف توردون علينا بنوة داود؟ وإذا كنتم لا تقولون بذلك فقد سلّم لنا
مرادنا . قلنا : النسبة نسبتان ، نسبة تعريف ونسبة تشریف ، فالأولى : هي
نسبة الإنسان من والده الذي هو أصله ، والثانية : هي نسبه من والد والده
الذي هو أصل أصله ، فالمسيح منسوب إلى داود النسبة الثانية - التي هي نسبة
تشریف - وهي كنسبة داود إلى إبراهيم ، ثم مريم أم المسيح^(١) من نسل داود ،
وداود من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

وإذا كان المسيح بن داود بهذه النسبة بطل ما ذهبتم إليه من الضلال
وانتحال المحال .

فإن قيل : إن كان قد روى مرقس ولوقا - من أصحابه - نبيه من ينطق بلفظ
البنوة فقد قال هو : (إني ذاهب إلى أبي وأبيكم) .

قلنا : فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه ، إذ لو كان صحيحا لم
يختلفوا فيه ، وإذا كان بعض الإنجيل يقول إن المسيح بن داود ، وبعضه يقول :
لا ، بل هو ابن يوسف ، وبعضه يقول : بل هو ابن الله ، لم تحصل الثقة بقول
واحد لا سيما والمسيح يقول / : (إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم) ويقول في ١/٩٥/ب
زعمكم : (إلهي إلهي لم تركتني؟) . فالمسيح يقول : إن الله إلهه وربّه ، وأنتم
تقولون : لا ، بل هو ابنه ، لقد تباعد ما بينكم وبين المسيح .

مسألة : زعم النصارى أن يسوع إنما جاءهم لينصرهم على اليهود ويطلع
عليهم بالثالوث شمس السعود .

(١) ورد في قاموس الكتاب ص ٧٥٦ أن مريم العذراء من سبط يهوذا من نسل داود (قارن لوقا ١/٣٢
و ٦٩ ، رومية ١/٣ ، ٢ ، الرسالة الثانية ليطموناوس ٨/٢ ، وعبرانيين ٧/١٤) .

فيقال لهم: يا عباد الرجال وربات الحجال^(١) إن كان الأمر على ما تصفون فقد كان يقضي أمره على ألسن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة، والخلائق مقبلون على أنبيائهم إقبالهم على آبائهم وأبنائهم، فيما الذي دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع وعِزِّه المنيع إلى حضيض النصب ومقر الآفات والوصب؟!، فيولج بطن امرأة من إماءه ومكث برحمها منغمسا في المشيمة على حال ذميمة، ثم ولدوه وأرضعته وفضلته وأدبته فأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها، وترددت به إلى الأعياد والمواسم وأرته الشعائر والمعالم، ولم تزل تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوّف/ إلى حنكة الرجولية وتطلع، فلما شرع فيما جاء له من نصرتكم وثب عليه اليهود فكذبوا فمه وأهدروا دمه، وأقصوه وشردوه وكدروه عليه روح الحياة ونكدوه، وأجمعوا أن يخربوا جثمانه ويفسدوه، فلما طال عليه تمردهم أعمل مطايا الحذار وعوّل على معقل الاستتار في الحذار، وتقدم إلى أصحابه ألا يذكره وأن يبالغوا في طي أمره فلا ينشروه بل ينكروه، ولم يزل ذلك حاله واليهود تنقب عليه وترشي من يرشدها إليه، حتى دل عليه صاحبه يهوذا، وساق إليه من أعدائه جمعا كثيفا وأنزل به من الذعر خطبا منيفا، فأنشبووا فيه مخالب الضراب، وأمطروه شآبيب العذاب، وسحبوه على شوك السفاه والسباب، وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود ممتهنا يرون أقبح ما يأتونه إليه حسنا، فلما بلغوا من إهانتهم المراد، مضوا به إلى بقعة من الأرض تزعم النصارى أنه دحاها وألزموه حمل خشبة

ب/٩٦/١ قالوا: [إنه]^(٢) أنبت لهاها، / وألبسوه أثوابا كان قد صنع ورسها^(٣) وأصهروه شمساً هو الذي أسخن مسها، فسألهم شربة من الماء - الذي فجره - حين

(١) الحجل: هو الخللخال. (ر: مختار الصحاح، ص ١٢٤).

(٢) في ص: (إنها) والتصويب من المحقق.

(٣) ورَّسه توريساً: صبغته به (ر: القاموس ص ٧٤٧).

وقفت نفسه لدى الحنجرة [فضنوا] (١) عليه بذلك ، وعوّضوه الخل مما هنالك ، فلما تضافرت عليه فوق جذعة الدواهي أعلن بقوله : إلهي إلهي ، وصار بين اللصوص ثلاثة الأثافي (٢) ، وعوّض عن بلوغ المنى بالمنافي ، ثم زهقت نفسه وفتح رسمه (٣) وصار في صدر الأرض سرا مكتوما ، وعاد هذا الإله العظيم عديبا ، ولما تمت له ثلاثة أيام في الرخام ، قام من ذلك المكان ورجع إلهائكما كان ، فتلبّس الحال الوييل (٤) وأدرع (٥) الذل العريض الطويل ، ولم يؤمن به إلا عصابة هي أقل من قليل .

فما أرى هذا الإله إلا نايل (٦) الرأي فاسد الحس فطير (٧) الفطرة مشؤوم الغرة (٨) منقوص الهمة مظلم الفكرة (٩) ، إذ عرض نفسه للمحن وأثار بين عباده الأحقاد والإحن ، فلقد شان الربوبية وأزل بهجتها وطمس نورها وأطلق ألسن السفلة بنقصها ، وثلبها حتى لقد شكك كثير / منهم في الربوبية وسهّل ١/٩٧/أ

(١) في ص : (فطنوا) والتصويب من المحقق .

(٢) الأثافيّة : الحجر توضع عليه القدر، جمعه : أثافي وأثف . ورماه الله بثلاثة الأثافي ، أي بالجليل ، والمراد : بداهية ، وذلك أنهم إذا لم يجدوا نالسة الأثافي أسندوا القدر إلى الجبل . (ر : القاموس ص ١٦٣٦) .

(٣) الرّمس : الدفن والقبر، جمعه : أرّماس ورّموس (ر : القاموس : ص ٧٠٨) .

(٤) وييل : أي ثقيل وخيم . (ر : مختار الصحاح ص ٧٠٧) .

(٥) أدرع : أي لبس . (ر : م . ن ص ٢٠٣) .

(٦) هكذا في الأصل ، والذي أراه أن الكلمة الصحيحة هي (مائل) وقد حصل لها تحريف من الناسخ والله أعلم .

(٧) الفطير : ضد الخمير وهو العجين الذي لم يختمر ، وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير ، يقال : اياك والرأي الفطير . (ر : مختار الصحاح ، ص ٥٠٧) .

(٨) غرة كل شيء أوّله وأكرمه ، والغرة : الغفلة .

(٩) إن هذه الصفات القبيحة التي ذكرها المؤلف لازمة للإله الذي يعبده النصارى وذلك بحسب ما ورد في أناجيلهم المقدسة عندهم .

عليهم ارتكاب مذاهب الدهرية^(١). وسلّمهم من ربقة العبودية بالكلية، فسحقاً سحقاً لإله هذه حكمته ومحقاً محقاً لرب هذا تدبيره.

فلو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر المنقطعة عن العمران لا يعرف ربا ولا يقرأ كتاباً، ولا يدين بملة عرض عليه دين النصراني، فقيل له: إن لك ربا خلقك وأبدعك، ومن صفته أنه رجل مثلك يبول ويغوط ويصق ويمتخط ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسي ويسهر وينام، وسارع مع الأنام الكلام وأن إنساناً مثله حقد عليه بعض الأمر فضربه وسحبه، ثم قتله وصلبه بعد أن حطم شعره ولطم نحره، فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة وفات.

(١) الدهرية: أنكروا الخالق والرسالة والبعث والإعادة، وهم الذين أخرج عنهم القرآن الكريم ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ سورة الجاثية / ٢٤. وزعموا بأن العالم قديم لم يزل ولا يزال، وما ثم إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وساء تقلع... إلخ. ويسمون بالملاحدة.

ودهرية زماننا يسمون بالشيوعية الماركسية والاشتراكية والوجودية.

(ر: الفصل - لابن حزم ١/ ٤٧، المل - للشهرستاني ٣/ ٢، ٢٣٥، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للسكسكي الحنبلي ص ٨٨، إغاثة اللهفان - لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٥٥).

إن ما ذكره المؤلف - في زمنه - من اعتناق كثير من النصراني لمذهب الدهرية والإلحاد وإنكار الربوبية وأنه ناتج عن عقيدة النصراني السخيفة التي لا يقبلها عقل صحيح ولا فطرة سليمة - نجده واضحاً وبارزاً في زماننا حيث أخذت العقيدة الدينية في الذبول وأصبح الإلحاد مفخرة الأندية حتى أندية الكنيسة نفسها، وظهرت الشعارات الإلحادية المختلفة فكان شعار الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)، وشعار الثورة الشيوعية (الدين أفيون الشعوب)، وشعار العلمانية (فصل الدين عن الحياة والدولة). وقد مليء الفراغ العقدي عند النصراني بالاتجاه الوثني الروماني الذي تمثله في العصر الحديث الأفكار المادية، فنشأت في المجتمعات والبلاد النصرانية المذاهب المادية الهدامة كالشيوعية الماركسية والبرجماتية والوجودية والداروينية والفريديوية وخلافها من الأمراض العقلية التي أنتجها العقل البشري المريض، وذلك يفسر لنا الانحلال الاجتماعي الرهيب والانهباء الأسري والخلقي والروحي في المجتمع الغربي النصراني.

لا ستتكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإله فضلا عن أن يتعبد له
ولأحال تصوره ولرأى لنفسه عليه فضلا لا ينكر ومزية من حقها أن تذكر
فتشكر (١).

قال المؤلف : ليس في النصرارى من يجحد مما ذكرته في هذا الفصل حرفا
واحدا بل قد / مدوا أعناقهم للذل ، وأسلموا آذانهم للخزي وأنسوا بسماع ١/٩٧ ب
التوبيخ ، واستلنوا ملابس التقريع ، فهم يتلون هذا الفصل تلاوة
[المتبجح] (٢) ويبتهجون به ابتهاج [المتبجح] (٣) ، فالحمد لله الذي حَصَّننا
بمعقل العقل عن سلوك هذا المذهب و[أنا لننا] (٤) بدهن الذهن [حلوك] (٥)
هذا الغيب .

(١) ذكر أبو عبيدة الخزرجي في كتابه (مقامع هامات الصلبان ص ١٢٣) ، والقرطبي في (الإعلام بما في
دين النصرارى من الفساد والأوهام ص ١٦٧) ما وصف أحد ملوك الهند - وكان من الملوك الذين
يحكمون بالسياسة الدينية الذين لم يتقلدوا اتباع ملة دينية - وقد ذكرت له الملل الثلاث فقال : أما
النصارى - وإن كان مناصبهم من أهل الملل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقد أرى ذلك بحكم
شرعي ، وإن كنا لم نر بحكم عقولنا قتالا ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم ، فإنهم قصدوا
مضادة العقل وناصبوه العداوة ، واستحلوا بيت الاستحالات مع أنهم حادوا عن المسلك الذي
انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيهم كفاية ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم
الشرعية الصالحة والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكنا فلم يُعرَف عنهم شيء ، وبنوا
من ذلك شرعا لا يؤدي البتة إلى إصلاح نوع من أنواع العالم إلا أنه يُصير العاقل إذا شرع به أخرق
أحمق والمرشد سفيها والمحسن مسيئا ؛ لأن من كان في أصل عقيدته - التي نشأ عليها - الإساءة إلى
الخالق ، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى فخليق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق .

وكذلك ما بلغنا عنهم في خلقهم من جهل وضعف العقل والطمع والبخل ومهانة النفس وخساسة
الهمة والقدر وقلة الحياء إلا قليلا منهم . فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي
لا تحصى وجوهه لكفى . وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه ، لا يلام المرء على قتل هؤلاء ، فكيف
وثم من الموجبات ما تقدم؟! أ. هـ .

(٢) في ص : (المحج) ولعل الصواب ما أثبت والله أعلم .

(٣) في ص : (المنجح) ولعل الصواب ما أثبت ، والمنجح : هو الظفر بالشيء ، أنجح زيد وهو منجح .

كما في القاموس ص ٣١١ .

(٤) في ص (أنالنا) والصواب ما أثبتته .

(٥) في ص (حلول) والصواب ما أثبتته .